الإعلام العربي يجتزئ مطالب الثورة

فادي عميره*

لا شك في أنّ الهبّة الشعبيّة والانفجار الذي حصل في المنطقة لهما جذورٌ اقتصاديّة اجتماعيّة أساساً. فالذي دفع بهذه الكتل البشريّة للانتفاض سلمياً ومواجهة الرصاص والإجرام بصدور عارية يتعلق أساساً بعدم قدرة هؤلاء الشباب على احتمال حياة الفقر والقهر والبطالة وانعدام الأمل في المستقبل. مع ذلك فإنّنا نلمس أحياناً كثيرة عدم قدرة هذه الكتل المتفجّرة على التعبير عن المطالب التي دفعتها إلى الانتفاضة هذه الصورة، وبالتالي عدم قدرتها على بلورة مطالبها بشعارات واضحة وتحديد واضح للمطالب والمشاكل الحياتيّة التي يعانيها الإنسان العربي، ونلمس تغطية هذا القهر والفقر بشعارات دينية للتعبير عن رفض الواقع والرّغبة في التخلّص منه والانقضاض عليه، شعارات نابعة من ثقافةِ المنتفضين. إنّ الأسباب التي دفعت هذه الكتل البشريّة للانفجار أساسها الأحوال المعيشية الصعبة، من فقر وبطالة وتهميش وغلاء معيشة، بالترافق مع الاستبداد والقهر والإخضاع. ظهر ذلك في تونس، التي بدأت الانتفاضة فيها في سيدي بوزيد، المدينة الفقيرة والمهمّشة، وامتدّت بعدها إلى سائر المدن الأخرى، منها طبقات متوسطة واسعة، تعاني الاستبداد والإخضاع والاستلاب. وكذلك في مصر التي يعاني أغلبية سكانها من بطالة عالية وفقر فاحش، كذلك ليبيا وسوريا والبحرين والسعوديّة وعُمان والكويت... كل تلك القطاعات التي انفجرت، تعاني أسوأ أشكال الاستغلال والاستبداد. مع ذلك، يظهر بوضوح عدم قدرة الشعوب الثائرة على بلورةِ شعاراتٍ تعبّر عن مشاكلها وهمومها، وبالتالي مطالبها. وتتركز هذه المشكلة أكثر عند الشعوب التي لم تراكم خبرة نضالات واحتجاجات قبل الثورة، كما راكم المصريون والتونسيون، بعكس السوريين مثلاً. وكذلك انعدم الوعي السياسي للشباب المنتفض، الذي أسّست له السّلطة. وعدم وجود أحزاب ونقابات تعبّر عن المنتفضين وتؤطّر حركتهُم، لتسريع تطوير الانتفاضة في الاتّجاه الذي يخدم الشعب، وانتصارها بأقل التكاليف، ولحماية الانتفاضة من انتهازيّة النّخب والأحزاب والخطابات المنحرفة التي لا تمثّل الانتفاضة، وتسعى إلى السلطة من دون برنامج حقيقي يعمل على حل مشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

اقتحام الحواجز في ميدان التحرير الجمعة (رويترز)

ما نحتاج إليه من أجل ضمان نجاح حقيقي وسريع في حل المشاكل التي دفعت القطاعات الشعبيّة الواسعة إلى الانتفاضة، هو ضرورة قيام قوى شعبيّة من داخل هذه القطاعات، تعبّر عن انتفاضتها وتساعدها على تحديد مطالبها وأهدافها والإصرار عليها، بالتالي تسريع تطوير الانتفاضة.

إنّ المقياس الحقيقي لمدى نجاح الثورات العربيّة هو في عمق تحقيقها للمطالب المعيشيّة الأساسيّة، الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وحل المشاكل العميقة التي يعاني منها القِطاع الأساسي من الشعب الثائر. بمعنى أنّ النجاح الحقيقيّ، والعميق والجذري للثورة الشعبيّة العربيّة - والعالميّة - يتمثّل في تغيير النّظام الاقتصادي الاجتماعي الإخضاعي الاستغلالي الذي أفقر البشر وأذلّهم لعقود، ودفعهم أخيراً إلى الانتفاضة. أو على الأقل، فسح المجال للتأسيس لهذا التغيير الجذري في مرحلة مقبلة، واستبدال هذه النّظم المستبدّة بأخرى تحقّق العدالة الاجتماعيّة والحياة الكريمة للشعوب المنتفضة، إلى جانب الحرية والديموقراطية والتحرر من كل أشكال الاستبداد والقمع والتجهيل. وليس المطلوب من الثورة فقط تحقيق تحوّلات سياسية شكلية، لا تغيّر من الواقع المعيش على الأرض.

في ميدان التحرير رأيت شعاراتٍ متعدّدة، تعبّر في مجملها عن مطالب وهموم المصريين الحقيقيّة والبسيطة. وصدمت من تغطية الإعلام لتظاهرات الميدان، إذ قال - فقط - بأنّ ثوار التحرير يطالبون بـ«تسريع تسليم السّلطة للمدنيين». في حين أنّ الحقيقة هي أنّ ثوار التحرير يطالبون من خلال أغلب الشعارات التي يرفعونها بتحسين ظروف المصريين، إلى جانب مطلب إسقاط حكم العسكر، لأنّهم باتوا يدركون أنّه عقبة في طريق تحقيق مطالبهم.

وفي أحداث بورسعيد، لو اعتمدت على الإعلام فقط لما وصلت إلى إجابة عن مسؤولية وزارة الداخلية، بينما كل الأحداث هناك تشير إلى مسؤوليّتها الفاضحة عن تدبير الحادثة الفظيعة. تغطية أجهزة الإعلام تلك لا تخدم سوى أجندة سياسيّة محدّدة، تدعم وصول قوّة محدّدة إلى السّلطة في مصر، هذه القوّة هي صاحبة المصلحة في قول إنّ الثوّار يريدون «تسريع تسليم السلطة لمدنيين». الحقيقة هي أنّ الثورة تريد تحقيق مطالبها التي اندلعت لأجلها، وتريد انتزاع السلطة وتسليمها لمن يحقّق مطالب الثورة كاملةً، أي إلى «سلطة ثورية». إن العالم الذي يحكمه المال، يسعى جاهداً إلى تشويه الثورة وإجهاضها وتجنّب تغيير جذري لمصلحة القطاعات الساحقة من المجتمع. إنّ النّظام العالمي إلى جانب أجهزته الإعلاميّة، متواطئ ضد الثورة والمطالب الحقيقيّة للشعوب، التي تخشى تلك الأنظمة من تحقيقها. فتسعى إلى تصويرها على أنّها ثورة ديموقراطية، كأنّ الشباب المهمش والعاطل من العمل، نزل إلى الشوارع ليواجه رصاص رجال أمن النّظام، من أجل استبدال نظام استغلالي ديكتاتوري بنظام استغلالي آخر أقل ديكتاتوريّة، وديموقراطيّة زائفة، غير عادلة، تُبقِي السّلطة الحقيقيّة بيد طبقة الاستغلال الحاكمة نفسها.

إنّ نجاح الثورة المصريّة في تجاوز كل العقبات والتحدّيات، وفرض بديل جذري، سيدفع شعوب العالم أجمع ويشجّعها على تبنّي الخيار الثوري من أجلِ حلّ أزمَتها. انتصار الثورة المصريّة والثورات العربيّة انتصارٌ لشعوب العالم أجمع. هذا ما يُدركه ويخشاه النّظام العالمي جيداً.

* كاتب أردني

الانتفاضات العربية وفلسط

سماح إدريس*

تنقسم مداخلتي إلى قسمين: يتناول الأوّلُ «الانتفاضاتِ العربيّةَ وفلسطين في المخيال اللبنانيّ»، ويتناول القسمُ الثاني «الانتفاضات العربيّة وفلسطين في المخيال السوريّ». ولا حاجة إلى القول إنّ المخيال هنا (أو الوعي) ليس واحداً في الحالين، على ما ستُظهر هذه المداخلة، بل مخيالاتٌ متعدّدةٌ في كلّ بلد، وقد تتقاطع أيضاً بين البلدين المجاورين. وفي الخاتمة أسعى إلى تقديم رؤيةٍ عامّةٍ، قد تكون متشائمةً، إلى مآل فلسطين في المخيال العربيّ بعد هذه الانتفاضات.

1 - القسم الأول: لبنان - الانتفاضات العربيّة وفلسطين.

1 - أ - الانتفاضات العربيّة في المخيال اللبنانيّ.

حين اندلعت انتفاضتا تونس ومصر، هلّل لهما معظمُ اليساريين والقوميّين العرب والسوريين الاجتماعيين في لبنان، المناصرين لفريق 8 آذار، وذلك وفقاً لاعتبارين: 1) أنّهما ثورتان على نظاميْن عميليْن للغرب والاستعمار. 2) أنّهما ثورتان على نظامين فاسدين ومستبدّين. لكنْ ما إن اندلعت الانتفاضة السوريّة تحديداً، حتى تبيّن أنّ الاعتبارَ الأول هو وحده ما دفع أولئك اللبنانيين إلى تأييد الانتفاضتين (1). فعلى الرغم من أنّ حكم بشّار الأسد لا يقلّ تسلّطاً وعنفاً وفساداً عن حكميْ بن علي ومبارك، فقد شجب أولئك اللبنانيون الانتفاضةَ السوريّة؛ لا بل ارتدّوا فجأةً إلى انتفاضتيْ تونس ومصر ليشجبوهما، هما أيضاً، بعد أن محضاهما في السابق كلّ التأييد، وليعتبروهما الآن محضَ «مؤامرةٍ غربيّةٍ» تهدف إلى التخلّي عن نظاميْن شائخيْن عاجزيْن عن حماية المصالح الإسرائيليّة والأميركيّة لمصلحة «إسلامٍ معتدلٍ» يَضْمن تلك المصالحَ بسبب شعبيّتهٍ الكاسحة.

أما لبنانيو 14 آذار فانقسموا إزاء انتفاضتيْ تونس ومصر بين صامتٍ لا يخفي امتعاضَه منهما، وشاجبٍ لهما مؤيّدٍ علناً للنظاميْن البوليسييْن. وهمْ لم يتوانوْا في التحذير من أنّ الانتفاضتين لن تأتيا إلّا بظلاميّةٍ مقيتةٍ للأقليّات الدينيّة والنساءِ وحريّةِ التعبير. لكنْ ما إن اندلعت الانتفاضة السوريّة حتى رأيناهم يهلّلون لها بشدّة. بل ذهبوا إلى اعتبار ثورتهم، «ثورةِ الأرز التي أخرجتْ جيشَ الاحتلال السوريّ من لبنان»، بشيراً بـ«الربيع العربيّ» ضدّ الاستبداد (2). وفي الذكرى السابعة لاغتيال رفيق الحريري في شباط الماضي، رفعوا شعاراً لافتاً: «لولا شباط ما في آذار ولولا آذار ما في ربيع». والمقصود أنّه لولا اغتيالُ الحريري في شباط 2005، لما اندلعتْ «ثورةُ الأرز» في آذار 2005، ولولا هذه الثورةُ لما اندلعت الانتفاضاتُ العربيّة. والحق أنّ المفارقة اللاذعة في هذا الشعار ينبغي ألا تفوتَ القارئَ اللبيبَ: ففريق 14 آذار الذي هلّل للانتفاضة السوريّة، ولا يزال، لم يهلّلْ للانتفاضاتِ العربيّة الأخرى، لا في تونس ولا في مصر ولا في البحرين ولا في اليمن... تماماً مثلما أنّ فريق 8 آذار، كما قلنا، أيّد الانتفاضاتِ العربيّةَ في كلّ مكان إلاّ في سوريا.

وفي ما يتعدّى فريقيْ 8 و14 آذار، لفتت الأنظارَ بعضُ المبادرات الصغيرة في لبنان تجاه الحدث السوريّ. الأولى قامت بها مجموعةٌ صغيرةٌ من الكتّاب اليساريين المستقلّين (بينهم أسعد أبو خليل ورائد شرف ورامي زريق وكاتبُ هذه السطور)، وتمثّلتْ في بيانٍ صدر في نيسان 2011، أيْ بعد شهر من اندلاع الانتفاضة السوريّة، ويعلن التضامنَ مع الشعب السوريّ «كما سبق أن تضامنّا... مع جميع العرب الثائرين على الأنظمة... من السعوديّة والبحرين، مروراً بليبيا والمغرب والجزائر وغيرها». وقد غمز الموقّعون من قناة بعض المثقّفين «الذين هبط عليهم الوحيُ النفطيُّ فجأةً، فندّدوا بالقمع في سوريا بعدما صمتوا صمتَ القبور عن القمعين السعوديّ والبحرينيّ...»(3). أما المبادرة الثانية خارج اصطفافيْ 8 و14 آذار فتمثّلتْ في حركاتٍ سلميّةٍ احتجاجيّة، إحداها ليساريين وُوجهوا بقمع أنصار النظام السوريّ أمام السفارة السوريّة في منطقة الحمرا في بيروت. المبادرة الثالثة كانت عبارةً عن بيانٍ صدر في أوائل آب من الصيف الماضي، وهو من توقيع 25 من الكتّاب والفنّانين والناشطين المستقلّين أو اليساريين أو القريبين من فريق 14 آذار (من بينهم إلياس خوري وبيار أبي صعب ومارسيل خليفة وروجيه عسّاف وحازم صاغيّة ويوسف بزّي وسهى بشارة وشوقي بزيع وصقر أبو فخر وفوّاز طرابلسي وكريم مروّة وكاتبُ هذه السطور)، ويعلن تضامنَه مع الشعب السوريّ «الشجاع والباسل» وشجبَه «للعنف الذي يمارَس ضدّه»(4). وأعقب البيانَ اعتصامٌ في ساحة الشهداء ضمّ مئاتٍ قليلة. غير أنّ تطوّر الأحداث، ومن بينها (بلا أدنى ريب) حديثُ رئيس المجلس الوطنيّ السوريّ إلى «وول ستريت جورنال» في 2011/12/2 عن وقف الدعم في «سوريا الجديدة» لحزب الله وحماس(5)، وعن تأييد المجلس المذكور للتدخّل العسكريّ الخارجيّ ولتسليح الانتفاضة، دَفع هذا التشكيلَ (الهشّ الذي لم يجتمعْ يوماً أصلاً) إلى الانفراط.

على أنّ أوضحَ تجلٍّ مباشرٍ لأثر الانتفاضات العربيّة في المخيال اللبنانيّ كان تشكيلَ «حملة إسقاط النظام الطائفيّ». ففي يوم ماطرٍ وعاصفٍ (2011/2/27)، تظاهر ألفا علمانيّ في بيروت، معظمُهم من الناشطين الذين هزّتهم انتصاراتُ الشعبين التونسيّ والمصريّ. وما لبثتْ «تظاهرةُ الشماسي» أن ازدادت زخماً: فبعد أسابيع، تظاهر ما يفوقُ العشرين ألفاً، في ما اعتُبر أضخمَ تظاهرةٍ في لبنان خارج الاصطفافيْن الطائفييْن الكبيريْن. هكذا بدت اللحظةُ سانحةً أمام العلمانيين اللبنانيين لبدء ربيعهم الخاصّ... أو ذلك ما توهّمناه.

والحال أنّه لا يمكن التقليلُ أبداً من أثر الانتفاضات العربيّة في مخيال الحملة المذكورة. فالشعار نفسُه، على ما بيّنتُ في مقالٍ سابق، لبننةٌ (غيرُ موفّقة) للشعار التونسيّ/المصريّ الشهير، إذ اكتفى الناشطون العلمانيون اللبنانيون بإضافة نعت «الطائفيّ» إلى آخره، ليغدو: «الشعب يريد إسقاطَ النظام الطائفيّ»، ثم أضافوا: «...ورموزه»، نأياً بأنفسهم، كما ظنّوا، عن طائفيين تسلّلوا إلى حملتهم بهدف تقويض جذريّتها وحصْر مطالبها في «إلغاء الطائفيّة السياسيّة» لَا غير (6). وفي كلّ الأحوال، فقد آمنوا إيماناً عميقاً بأنّ الطائفيّة هي سببُ غالبيّة الشرور في بلدهم، بما في ذلك الحروبُ الداخليّة والظلمُ الاجتماعيّ والفقر، تماماً كما كان الاستبدادُ هو سببَ غالبيّة الشرور في تونس ومصر واليمن. ولقد أشعرهم سقوطُ بن عليّ ومبارك، وترنّحُ صالح، بأنّهم ليسوا أقلّ اقتداراً على إسقاط نظامهم الطائفيّ من ناشطي تلك البلدان، وأنّ التظاهرات (شبه العفويّة) المفْضية إلى شكلٍ من أشكالِ العصيان المدنيّ (المنظّم) هي السبيلُ الأمثلُ للوصول إلى ذلك الهدف - لا العنفُ الثوريّ، ولا التنظيمُ اللينينيُّ الحديديّ، ولا السياساتُ الإصلاحيّةُ من قبيل المشاركة في الانتخابات النيابيّة لتغيير النظام «من داخله». وإلى أيقونة غيفارا، اصطفّت أيقوناتُ التغيير الجديد لدى كثرةٍ من ناشطي الحملة اللبنانيّة، أمثال محمد البوعزيزي ونوّارة نجم وأحمد ماهرٍ ووائل غنيْم. وغدا الفايسبوك أداةً رئيسيةً لحشد الناس، ونقاشِ التكتيكاتِ الثوريّة، ورسمِ الاستراتيجيّات، قبل الانطلاق في أيّ تظاهرةٍ أو نشاطٍ جديدين.

إلا أنّ حملة إسقاط النظام الطائفيّ في لبنان واجهتْ عوائقَ داخليّةً كثيرةً أدّت إلى ما يشبه الشللَ (الموقّت؟). ويمكن إيجازُها في العناصر الآتية:

أ - «الاكتشاف» المفاجئ أنّ النظام اللبنانيّ ليس هشّاً، وإنما قد يكون أقوى الأنظمة العربيّة وأشدَّها عناداً. إذ بدلاً من أن يقوده طاغيةٌ فاسدٌ مكروهٌ كبن عليّ ومبارك، فإنّه يقوده منذ سنواتٍ ستةُ زعماء على الأقلّ، جميعُهم محبوبون لدى قسمٍ كبيرٍ من طوائفهم: اثنان للشيعة، واثنان للموارنة، وواحدٌ للسنّة، وواحدٌ للدروز (7). بل إنّ ثلاثة من هؤلاء الزعماء (نصر الله وعون والحريري) يحظوْن بمحبّة قسمٍ من الطوائف الأخرى، وبشكلٍ خاصٍّ بسبب دعمهم المقاومةَ المسلّحةَ ضدّ «إسرائيل» أو رفضِهم إيّاها. وزاد من تعقيد عمليّة إسقاط النظام أنّ هؤلاء الزعماء يَخْدمون «رعاياهم» عبر شبكةٍ متطوّرةٍ من المؤسّسات التعليميّة والطبّية والاجتماعيّة؛ فضلاً عن أنّهم يُعتبرون «حُماةً» لهم من تعدّياتِ الطوائف الأخرى. ولذلك كلّه، فإنّ إسقاط النظام الطائفيّ عنى للناشطين العلمانيين أمراً يكاد يكون من سابع المستحيلات في هذه اللحظة، ألا وهو: إسقاطُ المجتمع اللبنانيّ أو الذهنيّة «اللبنانيّة» أيضاً.

ب - «اكتشاف» الناشطين العلمانيين صعوبةَ تحييد مسألة سلاح المقاومة في نقاشهم الداخليّ.

ج - الجدال الدائم (والمتواصل) في صفوفهم حول مطلب «الدولة العَلمانيّة». فعلى الرغم من أنّ جميع ناشطي الحملة يؤمنون بالعَلمانيّة هدفًا نهائيّاً، فإنّ بعضهم يصرّ في اللحظات الراهنة على استخدام مصطلح «الدولة المدنيّة»

الأخبار
تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»
رئيس التحرير المؤسس
جوزف سماحة
(2007-2006)
مستشار مجلس التحرير
انسي الحاج
رئيس التحرير - المدير المسؤول
إبراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب ■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليق ■ مجتمع: مهى زراقط ■ عالم: حسام كنفاني ■ ثقافة وناس: أمل الأندري ■ وحدة الأبحاث: عمر نشابة
■ المدير الفني: إميل منعم ■ مدير الموقع الالكتروني: منصور عزيز
■ رئيس مجلس الادارة ابراهيم الأمين ■ الادارة المالية: فادي خليل
■ الموارد البشرية: ريما اسماعيل ■ الادارة التجارية: هبة بدر الدين ■ الادارة المعلوماتية: محمود بدير
■ المكاتب بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 113/5963
■ www.al-akhbar.com
■ الاعلانات Tree Ad 01/611115 - 03/252224
■ التوزيع شركة الأوائل 15 - 01/666314 - 03/828381